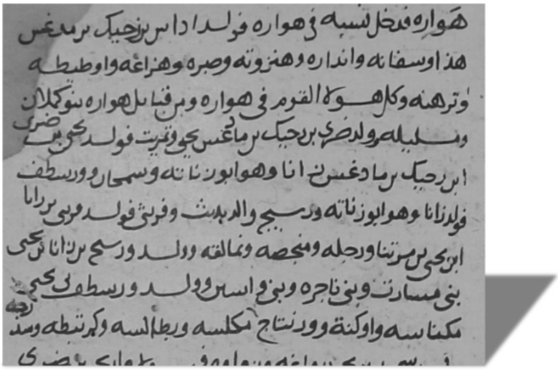
تحقيق نسب هوارة

دراسة في أصل القبيلة وتاريخها وانتشارها


هواره فدخل نسبه في هواره فولد اداس بن زحيك بن مادغس
هذا اوسفانه واندراه وهنزونه وصبره وهزاغه واوطيطه
وترهنه وكل هولاء القوم في هواره ومن قبايل هواره بنو كملان
ومليله وولد ضري بن زحيك بن مادغس يحيى وتمزيت فولد يحيى بن ضري
ابن زحيك بن مادغس بن انا وهو ابو زناته وسمكان وورسطف
فولد زانا وهو ابو زناته ورسيج والديدت وفرني فولد ورسيج بن زانا
ابن يحيى بن مرتنا ورجله ومنجصه ونمالته وولد ورسيج بن زانا بن يحيى
بني مسارت وبني ناجره وبني واسين وولد ورسطف بن يحيى
مكناسه واوكنة وورتناج ومكلسه وبطالسه وكرنيطه وسد

إعداد/ أحمد حمد حميد ربيع الصبحي

تحقيق نسب هوارة

دراسة في أصل القبيلة وتاريخها وانتشارها

إعداد/ أحمد حمد حميد ربيع الصبحي

الطبعة الأولى

١٤٤٨هـ — ٢٠٢٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تُعدّ قبيلة هوارة من القبائل الكبرى التي كان لها حضور بارز في تاريخ بلاد المغرب ومصر، وقد امتد ذكرها في كتب الأنساب والتاريخ والجغرافيا، وتوزعت بطونها ومواطنها على رقعة واسعة، من بلاد المغرب وطرابلس وبرقة، إلى مصر وصعيدها، ثم إلى بلاد السودان. وقد أسهم هذا الامتداد الطويل في تكوين تاريخ قبلي غني ومتشعب، كما أدى إلى تعدد الروايات التي تناولت أصل القبيلة ونسبها، واختلاف النسابين والمؤرخين في بعض حلقات نسبها، وفي حقيقة ما ارتبط بها من أنساب عربية أو بربرية.

وتنبع أهمية دراسة نسب هوارة من أن المسألة لم تعد مجرد البحث عن اسم جد في سلسلة نسب، بل أصبحت بحثًا في تاريخ جماعة قبلية كبيرة، تشكلت عبر قرون من الهجرة والحلف والمصاهرة والاختلاط والاستقرار. ولذلك فإن تحقيق نسبها يحتاج إلى جمع الروايات المتقدمة، ومقارنتها، ومعرفة مصادرها، وتمييز الروايات المبكرة من المتأخرة، والنظر في مدى اتفاقها مع ما ثبت في كتب الأنساب والتاريخ.

ومن الأسباب الخاصة التي دفعتني إلى العناية بهذا الموضوع أن والدتي الغالية من قبيلة هوارة، فكانت هذه الصلة العائلية باعثًا أوليًا على الاهتمام بتاريخ القبيلة ونسبها، والرغبة في معرفة أصلها، وتتبع أخبارها ومواطنها وفروعها، والوقوف على حقيقة ما قيل في أصلها ونسبها.

وأذكر هذه الصلة لا على سبيل الاحتجاج بالقرابة في إثبات النسب؛ فإن صلة الباحث بالموضوع ليست دليلًا عليه، وإنما هي بيان للدافع الذي حملني على البحث. أما الحكم في هذه الدراسة فمرجعه إلى المصادر والروايات ومقارنتها ونقدها، فما قام عليه الدليل قبلته، وما لم يثبت بقي في موضعه من الاحتمال أو الخلاف.

ولعل من الإنصاف أن يصرح الباحث بدوافعه ما دام لا يجعلها حاكمة على نتائجه؛ فالقرابة قد تكون باعثًا على البحث، لكنها لا تكون بديلًا عن الدليل. ومن هنا حرصت على أن أفصل في هذا البحث بين المحبة والانتساب من جهة، وبين الحكم العلمي من جهة أخرى، حتى لا تتحول الصلة الشخصية إلى حجاب يحول دون رؤية ما تقوله المصادر على اختلافها.

وتزداد أهمية هذا التحقيق بسبب تعدد الروايات في أصل هوارة؛ فقد نسبت بعض الروايات القبيلة إلى هوّار بن أوريغ بن برنس، وجعلتها من بطون البرانس من البربر، وهو النسب الذي تكرر عند عدد من كبار النسابة والمؤرخين، وفي مقدمتهم ابن حزم وابن خلدون والقلقشندي. وفي مقابل ذلك ظهرت روايات أخرى نسبت هوارة إلى حمير أو كندة أو قيس عيلان، وهي روايات نقلها بعض المؤرخين والنسابة، ثم تعرض بعضها للنقد والرد، ولا سيما عند ابن حزم وابن خلدون. ومن هنا لا يصح التعامل مع هذه الأقوال على درجة واحدة من الثبوت، ولا يكفي مجرد وجود الرواية في كتاب لإثبات مضمونها.

ومن أجل ذلك يقوم هذا البحث على منهج المقارنة والنقد؛ فلا يقتصر على نقل رواية واحدة أو الانتصار لها ابتداءً، وإنما يجمع ما أمكن من النصوص المتعلقة بنسب هوارة، ثم يرتبها بحسب مصادرها وأزمنتها، ويقارن بين ألفاظها وسلاسلها، ويفصل بين ما اتفقت عليه المصادر وما اختلفت فيه، مع بيان مواضع القوة والاضطراب في كل رواية.

كما يحرص البحث على التمييز بين إثبات وجود الرواية وبين إثبات صحة مضمونها؛ فقد تكون الرواية ثابتة عن صاحبها، دون أن يكون ذلك كافيًا

وحده للحكم بصحة النسب الذي تذكره. وهذه قاعدة لازمة في التعامل مع كتب الأنساب؛ إذ إن مجرد ورود قول عند أحد المصنفين لا يجعله حقيقة تاريخية نهائية، وإنما ينبغي النظر في مصدره، وزمنه، ومن وافقه أو خالفه، وما يؤيده من الشواهد الأخرى.

كما يقتضي التحقيق التفريق بين النسب والحلف والانتساب والتعرب؛ فدخول جماعة في حلف قبلي لا يعني بالضرورة اتحادها في النسب، كما أن المصاهرة والولاء والجوار قد تنشئ روابط اجتماعية وسياسية قوية بين جماعات مختلفة الأصول. وكذلك فإن انتقال قبيلة من لغة إلى أخرى، أو تعربها ثقافيًا، أو استقرارها بين قبائل عربية، لا يكفي وحده لإثبات تحول أصلها النسبي.

وفي المقابل، لا يجوز أيضًا إنكار ما أحدثه الحلف والمصاهرة والتعرب من أثر حقيقي في تكوين القبائل وتفرعها واتساع مسمياتها؛ فقد كان انتقال الجماعات من نسب إلى حلف، أو اندماجها في عصبية جديدة، من الظواهر المعروفة في التاريخ القبلي. وقد تنبه ابن خلدون إلى هذه المسألة، فذكر أن جماعة قد تلتحق بنسب آخر عن طريق القرابة أو

الحلف أو الولاء، ثم يطول الزمن فيُنسى النسب الأول ويغلب الانتساب الجديد.

ومن هذا المنطلق، فإن هذا البحث لا ينظر إلى هوارة باعتبارها سلسلة نسبية مجردة، وإنما يتناولها بوصفها كيانًا قبليًا تاريخيًا واسعًا، ظهرت له بطون وفروع، ودخلت فيه جماعات، وانتقلت به جماعات أخرى من موطن إلى آخر، حتى أصبح له حضور بارز في بلاد المغرب ثم مصر، ولا سيما في صعيدها.

وعليه، فإن الغاية من هذا البحث ليست إثبات دعوى لمجرد موافقتها لرواية مسبقة، ولا إسقاط رواية لمجرد مخالفتها لها، وإنما الوصول إلى أقرب صورة يمكن أن تقدمها المصادر من تاريخ نسب هوارة، مع إبقاء مواضع الخلاف في مواضعها، وعدم تحميل النصوص أكثر مما تحتمل.

وسنحاول في هذا البحث أن نقرأ الروايات النسبية في سياقها التاريخي، فلا نعزل سلسلة النسب عن المواطن التي عاشتها القبيلة، ولا عن حركة بطونها وهجراتها وتحالفاتها؛ لأن دراسة النسب وحده قد لا تكشف الصورة الكاملة لقبيلة واسعة الانتشار مثل هوارة.

كما أن الانتقال من دراسة النسب إلى دراسة التاريخ والجغرافيا ليس انتقالًا عن الموضوع، بل هو استكمال له؛ فالمواطن والهجرات والفتوحات والاستقرار والتحالفات كلها شواهد تساعد على فهم كيفية تشكل الكيان القبلي وتوسع مسماه عبر العصور.

وهذا هو المنهج الذي سنسير عليه في الصفحات التالية:

نصٌّ، ثم مصدر، ثم مقارنة، ثم نقد، ثم نتيجة؛ حتى يكون الحكم في نهاية المطاف قائمًا على اجتماع الشواهد، لا على شاهد منفرد.

وبهذا نرجو أن يكون هذا العمل محاولة متواضعة لجمع ما تفرق من الروايات المتعلقة بهوارة، وترتيبها، وتمييز مراتبها، وإبراز ما يمكن أن تثبته المصادر وما تعجز عن إثباته، بعيدًا عن التعصب للرواية أو النفرة منها لمجرد موافقتها أو مخالفتها لما استقر في الأذهان.

والله ولي التوفيق

المؤلف

٩ ربيع الأول ١٤٤٨ هـ

٢٢ أغسطس ٢٠٢٦ م

القسم الأول: التحقيق النسبي

البربر في الروايات النسبية القديمة

نسب ولد حام بن نوح

يقتضي البحث في نسب هوارة أن نبدأ من أقدم الطبقات النسبية التي أوردتها المصادر التي تناولت أصل البربر، إذ إن عددًا من روايات الأنساب القديمة ردّت نسب البربر إلى حام بن نوح عليه السلام، ثم اختلفت بعد ذلك في الأجداد المتفرعين عنه، وفي ترتيب الأسماء الواقعة بين حام وبين القبائل البربرية الكبرى.

ولا يعني إيراد هذه الروايات التسليم بصحتها جميعًا؛ وإنما الغرض أولًا هو إثبات ما حفظته كتب الأنساب من أقوال، ثم مقارنتها بما ورد في المصادر الأخرى، للوصول إلى مواضع الاتفاق والاختلاف.

أولًا: رواية الهمداني في الإكليل

ذكر الهمداني في الإكليل في سياق حديثه عن ولد حام بن نوح:
«كانت امرأة حام بن نوح مخلب ابنة ماذب بن الدرمشيك، فأولدها ثلاثة نفر: كوش بن حام، وقوط بن حام، وكنعان بن حام».

ثم قال:

«وقال بعض النساب: ومصر بن حام، وهو مصرايم، وقال الأكثر: ليس ذلك بمعروف، وإنما سمع بمصر بن هرمس بن هردس جد الإسكندر».

ثم أورد:
«وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كوش بن كنعان بن حام، ونكح كوش بن حام فرتبين بنت تباويل بن قرس بن يافت بن نوح، فولدت له نمرود الأكبر، وهو أول ملك ملك بعد الطوفان».

وتكشف هذه الرواية عن اختلاف مبكر في ترتيب بعض الأسماء والأنساب، حتى داخل الروايات المتعلقة بولد حام أنفسهم؛ وهو ما يستدعي الحذر من التعامل مع جميع السلاسل الواردة في كتب الأنساب على أنها متفق عليها.

ثانيًا: رواية وهب بن منبه في التيجان.

ومن الروايات التي تربط أصل البربر بحام بن نوح ما نقله ابن هشام في كتاب التيجان في ملوك حمير، عن وهب بن منبه، وفيه:
«ولد حام بن نوح كوشًا ومازيغ، وولد لمازيغ بن حام بربر بن مازيغ».

ثم جاء في الرواية:

«قال وهب: وكان قد تملك بيت المقدس وملك الشام نمرود بن كعنان ابن مازيغ بن كعنان بن حام بن نوح».

وهذه الرواية ذات أهمية في موضوعنا؛ لأنها تدخل اسم مازيغ في سلسلة الأجداد التي رُبط بها البربر، وتجعل:

بربر بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

وهو ما يختلف في تفاصيله عن سلاسل أخرى ستأتي لاحقًا.

ثالثًا: ما الذي تفيده هذه الروايات؟

عند جمع الروايتين يتبين أن اسم مازيغ يظهر في إحدى الروايات بوصفه من ولد حام، ثم يجعل له بربرًا، في حين أن الروايات الأخرى ستتوسع في تقسيم البربر إلى جذمين كبيرين، هما برنس ومادغس، ثم تجعل من برنس عددًا من البطون، ومن بينها أوريغ الذي ينتسب إليه هوار.

ومن هنا تبدأ أهمية هذه المرحلة في تحقيق نسب هوارة؛ لأن البحث لا يقف عند مجرد القول:

هوارة من البربر، بل يتتبع كيف ربطت كتب الأنساب بين البربر وبين الأجداد الذين تفرعت عنهم البطون الكبرى.
وهنا ينبغي التأكيد مرة أخرى على أن هذه الروايات تُورد في هذا البحث بوصفها روايات نسبية تاريخية، لا باعتبار أن كل ما ورد فيها قد ثبت بالإجماع؛ إذ إن الغرض من التحقيق هو المقارنة بين الروايات، ومعرفة ما اتفقت عليه وما اختلفت فيه.

<u>رابعًا: من حام إلى برنس ومادغس</u>

تتجه الروايات النسبية بعد ذلك إلى طبقة أكثر اتصالًا بموضوع هوارة، وهي طبقة برنس ومادغس.

وهنا يذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب:

«ولد برّ: مادغس، وبرنس. فولد برنس: كتامة، وصنهاجة، وعجيسة، ومصمودة، وأوربة، وأزداجة، وأوريغ. فولد أوريغ بن برنس: هوّار، ولكل هؤلاء بطون عظيمة جدّا».

وهذا النص سيكون أساس المطلب التالي؛ لأنه ينقل البحث من الروايات العامة في أصل البربر إلى السلسلة النسبية التي تتصل مباشرة بهوارة.

وبذلك يمكن أن نقف عند هذه المرحلة على أصل عام في الروايات التي سنبحثها لاحقًا:

هوارة : هوار بن أوريغ بن برنس بن بربر بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

مع التنبيه إلى أن الحلقات الواقعة بين حام وبرنس وما يتصل بها من أسماء تختلف باختلاف الروايات والمصادر، وهو ما سيأتي تفصيله ونقده في المباحث التالية.

يمكن تلخيص ما تقدم في ثلاث نقاط:

- وردت في المصادر النسبية القديمة روايات تجعل أصل البربر متصلًا بحام بن نوح عليه السلام.

- ظهر اسم مازيغ في بعض هذه الروايات، وجُعل من نسله بربر بن مازيغ.

- **تنتقل روايات أخرى إلى تقسيم البربر إلى جذمين كبيرين، هما برنس ومادغس، ثم تجعل أوريغ بن برنس أصلًا لهوارة من خلال ابنه هوار.**

برنس ومادغس وتفرع بطون البربر

بعد الوقوف على الروايات التي جعلت مازيغ وبربر في طبقات الأجداد الأولى للبربر، ننتقل إلى طبقة أكثر اتصالًا بموضوع البحث، وهي طبقة برنس ومادغس؛ إذ تذكر كتب الأنساب أن البربر ينقسمون إلى جذمين عظيمين، وأن من ذرية أحدهما تفرعت جماعات البرانس، ومن بينها أوريغ الذي تنتسب إليه هوارة.

أولًا: برنس ومادغس

من أبرز النصوص في هذا الباب ما أورده ابن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب، حيث قال:

«ولد برّ: مادغس، وبرنس».

وبذلك يجعل ابن حزم مادغيس وبرنس ابنين لبرّ، ثم يفصل القول في ذرية برنس، فيقول:

«فولد برنس: كتامة، وصنهاجة، وعجيسة، ومصمودة، وأوربة، وأزداجة، وأوريغ. فولد أوريغ بن برنس: هوّار، ولكل هؤلاء بطون عظيمة جدًا».

وهذا النص من أهم النصوص التي يقوم عليها تحقيق نسب هوارة؛ لأنه لا يكتفي بذكر برنس، بل يحدد أوريغ ضمن ذريته، ثم يربط به مباشرة هوّار.

فتكون السلسلة بحسب هذه الرواية:

هوارة : هوار بن أوريغ بن برنس بن برّ .

وفي مقابل ذلك يذكر ابن حزم مادغس بوصفه الابن الآخر لبرّ، وهو ما يفسر ظهور اسم مادغس في عدد من روايات أنساب البربر.

ثانيًا: برنس أصل البرانس

تُعرف الجماعات المنسوبة إلى برنس في كتب الأنساب باسم البرانس، وهو أحد الاسمين الكبيرين اللذين تكرر ذكرهما عند نسابة البربر، إلى جانب مادغس.

وقد جعل ابن حزم من ذرية برنس جماعات عديدة، فقال:

«فولد برنس: كتامة، وصنهاجة، وعجيسة، ومصمودة، وأوربة، وأزداجة، وأوريغ».

وهذا النص يبين أن أوريغ ليس اسمًا منفردًا في سلسلة هوارة فحسب، بل هو أحد البطون التي نسبت إلى برنس، وأن هوارة تنحدر في هذه الرواية من أحد فروع البرانس.

ومن هنا فإن وصف هوارة بأنها من بطون البرانس ليس وصفًا متأخرًا، وإنما له أساس في روايات النسابة التي جعلت:

هوار بن أوريغ بن برنس.

يمثل أوريغ الحلقة الأهم في هذا المبحث؛ لأنه الجد الذي تتصل به هوارة اتصالًا مباشرًا.

وقد نص ابن حزم على ذلك صراحة:

«وولد أوريغ بن برنس: هوّار، ولكل هؤلاء بطون عظيمة جدًا».

وبذلك يكون هوار أحد أبناء أوريغ، وتنتسب إليه القبيلة المعروفة باسم هوارة.

وهنا ينبغي التنبيه إلى أن اسم أوريغ ورد في المصادر بصور مختلفة بحسب طريقة النقل والتعريب، فقد يرد:

«أوريغ، أوريغة، أوريغَ».

ولا يلزم من اختلاف الرسم اختلاف الشخص، بل ينبغي النظر إلى سياق الرواية ونسبها.

ويؤكد ابن خلدون هذا الأصل عند حديثه عن أخبار البرانس من البربر، فيقول:

«وهوارة هؤلاء من بطون البرانس باتفاق من نسابة العرب والبربر، ولد هوّار بن أوريغ بن برنس».

وهذه العبارة ذات أهمية خاصة؛ لأن ابن خلدون لا يذكر النسب مجرد ذكر، وإنما ينص على أن هوارة من بطون البرانس، ويربطها مباشرة بهوار بن أوريغ بن برنس.

كما أن قوله: «باتفاق من نسابة العرب والبربر».

يدل على أن هذه الرواية كانت في نظره هي الرواية الغالبة بين أهل النسب الذين تناولوا أنساب البربر. ومع ذلك، فإن الباحث ينبغي أن يميز

بين قول ابن خلدون بوجود الاتفاق وبين التحقق من جميع المصادر التي سبقت ابن خلدون؛ ولذلك فإن قيمة هذه الشهادة تزداد عندما نجد أصلها موجودًا بالفعل في نصوص أقدم، مثل نص ابن حزم.

ويؤيد القلقشندي هذا النسب في صبح الأعشى عند حديثه عن بني أوريغ، فيقول:

«بنو أوريغ - بضم الهمزة وكسر الراء المهملة وغين معجمة في الآخر، بطن من برانس من البربر ببلاد المغرب يقال لهم أريغة، وهم بنو أريغة ابن برانس بن بربر».

ثم يرد في سياق نسب هوارة: «بنو هوارة بن أوريغ، بن برنس، بن بربر».

وهذه الشهادة تزيد من قوة الرواية التي تجعل هوارة من أوريغ بن برنس، كما تؤكد ارتباط أوريغ بالبرانس.

لم يكن أوريغ جد هوارة وحدها، بل تذكر كتب الأنساب أن له أبناء وبطونًا متعددة.

ومن ذلك ما أورده ابن حزم: «وولد أوريغ: هوار، وملك، ومقّر، وفلدن».

ثم فصل ذرية كل واحد منهم، فذكر من ولد ملك: ستات، وورفل، وأسيل، ومسراتة، وذكر من ولد مقر: ماوس، وزمور، وكبا، ومسرات، ومن ولد فلدن: قمصانة، وورسطيف، وبياتة، وبل.

ثم أشار إلى رواية أخرى في صنهاج ولمط، وأنهما ابنا امرأة يقال لها تزكّى، تزوجها أوريغ، فولدت له هوّار، فكانوا إخوة لأم.

وهذه الرواية الأخيرة من المسائل التي ينبغي فصلها عن أصل النسب؛ لأنها تتعلق بتفصيل في أمومة بعض الفروع، وتكشف في الوقت نفسه عن تعدد الروايات المتعلقة ببنية أوريغ وأعقابه.

ومن المهم ألا نفهم من نسبة هوارة إلى هوار بن أوريغ أن جميع من حمل اسم هوارة في العصور التاريخية كانوا بالضرورة من صلب هوار الأبوي. فقد اتسع المسمى القبلي عبر الزمن، ودخلت فيه بطون وجماعات أخرى. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك عند حديثه عن هوارة، فذكر بطونًا متعددة، ثم قال عن جماعات من ذرية أدّاس بن زحيك بن مادغس:
«وأما بطون أدّاس بن زحيك بن مادغس الأمراء الذين دخلوا في هوّارة فكثير».

وهذا النص مهم في فهم طبيعة التكوين القبلي؛ إذ يبين أن اسم هوارة لم يكن مقصورًا على السلسلة الأبوية الضيقة، بل أصبح إطارًا قبليًا واسعًا دخلت فيه بطون أخرى.

ومن ثم يمكن التفريق بين:

النسب الأصلي لهوارة: هوار بن أوريغ بن برنس.

وبين: الكيان القبلي التاريخي لهوارة: وهو كيان اتسع ودخلت فيه بطون وجماعات بالحلف والانضمام، ثم غلب عليها اسم هوارة.

الخلاصة:

تذكر رواية ابن حزم أن برًّا ولد مادغيس وبرنس، ثم تفرعت من برنس جماعات كثيرة كان من بينها أوريغ، الذي ولد هوّارًا ومنه جاءت تسمية قبيلة هوارة. وقد أكد ابن خلدون هذا النسب مشيرًا إلى أن هوارة من بطون البرانس وأن نسبها يعود إلى هوار بن أوريغ بن برنس، وهو ما أيده القلقشندي أيضًا في كتابه صبح الأعشى. ومع مرور الوقت اتسع مسمى هوارة تاريخيًا ودخلت فيه بطون أخرى، مما يفسر تنوع بنيتها القبلية عبر

العصور، وعليه فإن الحلقة النسبية التي تكررها المصادر بوضوح هي: هوّار بن أوريغ بن برنس ؛ وهي الحلقة الأساسية التي سيقوم عليها المطلب التالي عند الانتقال إلى دراسة نسب هوارة نفسه وبطون أوريغ وهوار.

السلسلة النسبية من برنس إلى حام

بعد ثبوت الحلقة الأقرب في نسب هوارة، وهي هوّار بن أوريغ بن برنس، تأتي مسألة أخرى أكثر دقة، وهي البحث فيمن يتصل بهم برنس من الأجداد، وكيف تصل بعض الروايات نسبه إلى حام بن نوح عليه السلام.

وهذه المرحلة من البحث تختلف عن المرحلة السابقة؛ إذ إن المصادر لا تقدم سلسلة واحدة متفقة في جميع حلقاتها، بل ترد فيها روايات متعددة تختلف في بعض الأسماء وترتيبها. ولذلك فإن المنهج الصحيح يقتضي عرض كل رواية بحسب مصدرها، وعدم تركيب سلسلة واحدة من أسماء وردت في مصادر مختلفة، ثم نسبتها إلى مصدر لم يقل بها كاملة.

رواية المقريزي

من أصرح الروايات التي وصلت بنسب هوارة إلى حام بن نوح ما أورده المقريزي في رسائله، حيث قال:

«وبالصواب أنهم من ولد هوّار بن أوريغ بن برنس بن صرى بن وجيك بن مادغش بن برّ بن بديان بن كنعان بن حام ابن نوح عليه السلام كما تقدم».

وهذه الرواية تقدم سلسلة نسبية كاملة، تبدأ بهوارة وتنتهي بحام بن نوح، ويمكن ترتيبها على النحو الآتي:

هوار بن أوريغ بن برنس بن صرى بن وجيك بن مادغش بن برّ بن بديان بن كعنان بن حام بن نوح عليه السلام.

وعلى هذه الرواية يكون مادغش من الأجداد الواقعين بين برنس وبرّ، وهو أمر يختلف في تفاصيله عن الروايات الأخرى التي تجعل مادغس وبرنس ابنين لبرّ. وهنا تظهر أهمية المقارنة؛ فالمقريزي يورد سلسلة تختلف عن السلسلة التي نقلها ابن حزم، ولا يصح أن نأخذ أسماء المقريزي ونضمها إلى ترتيب ابن حزم ثم نقدم الناتج باعتباره رواية واحدة.

و تكتسب رواية المقريزي أهميتها من كونها من أوضح النصوص التي وصلت نسب هوارة إلى حام بن نوح، كما أنها تقدم أسماء متتابعة يمكن دراستها ومقارنتها بما ورد في المصادر الأخرى.

غير أن وضوح السلسلة لا يعني اتفاق المصادر عليها؛ فكل حلقة من حلقاتها تحتاج إلى أن تُقارن بما ورد عند غير المقريزي، ولا سيما أن بعض الأسماء وترتيبها يختلف في الروايات الأخرى.

ومن ثم فإن النتيجة التي يمكن إثباتها من هذا النص هي:

أن المقريزي روى نسب هوارة في سلسلة تصل هوار بن أوريغ بن برنس بحام بن نوح، مع ذكر عدد من الأجداد بين برنس وحام. أما الحكم على كل حلقة من حلقات هذه السلسلة، فهو مسألة أخرى تحتاج إلى المقارنة.

إلى جانب رواية المقريزي، تظهر في بعض الروايات النسبية سلسلة أخرى تربط هوار بن أوريغ بن برنس بالأجداد الأقدمين، وتنتهي كذلك إلى حام بن نوح.
وترد هذه السلسلة على الصورة الآتية:
هوار بن اوريغ بن برنس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن ديان بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

و لا ينبغي أن نضع الروايتين في سلسلة واحدة، فنأخذ:
صرى ووجيك ومادغش وبرّ وبديان

من رواية، ثم نضيف إليها:
هوك وهرسق وكراد ومازيغ وهواك وهريك وبدا وديان
من رواية أخرى، ثم نقدم الناتج على أنه نسب متصل ثابت.

فهذا النوع من التركيب لا يصح منهجيًا؛ لأن كل سلسلة يجب أن تبقى منسوبة إلى مصدرها حتى تتم المقارنة بين الروايات.
وهذه السلسلة لا تُعرض باعتبارها محل اتفاق، وإنما باعتبارها رواية نسبية تحتاج إلى المقارنة مع غيرها، ولا يصح الجزم بصحة جميع حلقاتها لمجرد ورودها في بعض كتب الأنساب.

عند مقارنة السلاسل السابقة يظهر أن هناك حلقة ثابتة تتكرر في أكثر من مصدر، وهي:
هوّار بن أوريغ بن برنس.

أما ما بعد برنس في اتجاه الأجداد الأقدمين، فتختلف الروايات في الأسماء والترتيب.
فالمقريزي يورد:
برنس بن صرى بن وجيك بن مادغش بن برّ بن بديان بن كنعان بن حام.

بينما تورد الرواية الأخرى:
برنس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن ديان بن كنعان بن حام.

وهذا الاختلاف لا ينبغي أن يُخفى، بل إن إظهاره هو من صميم التحقيق؛ لأن الباحث لا يقوي نسبًا بإخفاء اختلاف الروايات، وإنما يقويه ببيان مواضع الاتفاق ومواضع الاختلاف، ثم ترجيح ما تسمح به الأدلة.

يمكن بعد ذلك الوصول إلى نتيجة مرحلية مهمة:

تتضافر المصادر في تثبيت النسب الأقرب لهوارة: هوّار بن أوريغ بن برنس، بينما تختلف الروايات في السلسلة التي تصل برنس بالأجداد الأقدمين إلى حام بن نوح. ومن أبرز هذه الروايات سلسلة المقريزي، إلى جانب سلاسل أخرى تختلف عنها في عدد من الأسماء وترتيبها. ولذلك لا يصح دمج هذه الروايات في سلسلة واحدة، بل يجب إبقاء كل رواية مرتبطة بمصدرها، ثم دراسة حلقاتها ومقارنتها بما ورد في المصادر الأخرى.

الروايات المخالفة لنسب هوارة

إذا كانت الروايات التي تقدمت قد ربطت هوارة بنسبها البربري، وجعلتها من هوّار بن أوريغ بن برنس، فإن كتب التاريخ والأنساب حفظت في المقابل روايات أخرى نسبت هوارة إلى أصول عربية مختلفة؛ فمنها ما جعلهم من حمير، ومنها ما ألحقهم بـ كندة من السكاسك، ومنها ما نسب بعض البربر إلى قيس عيلان.

والتعامل مع هذه الروايات يقتضي عدم إسقاطها أو تجاهلها، بل إيرادها كما نقلتها المصادر، ثم النظر في أسانيدها وسياقها وموقف كبار النسابة منها. كما ينبغي التفريق بين وجود دعوى الانتساب العربي وبين ثبوت النسب العربي من الناحية النسبية؛ فليس كل انتساب قبلي في المصادر دليلًا على وحدة الأصل، إذ قد ينشأ الانتساب عن الحلف أو الولاء أو المصاهرة أو الجوار أو التعرب والاندماج السياسي.

دعوى النسب الحميري

من أشهر الروايات المخالفة لنسب هوارة البربري ما نُسب إليهم من الانتساب إلى حمير من اليمن. وقد أشار اليعقوبي عند حديثه عن هوارة

إلى أنهم كانوا من قبائل البربر، وذكر أن من هوارة من يزعم أنه من اليمن، وهو ما يدل على أن دعوى الانتساب اليمني كانت موجودة بالفعل لدى بعض جماعات هوارة.

غير أن وجود هذا الادعاء لا يعني ثبوت النسب؛ ولذلك كان موقف ابن خلدون منه شديد الوضوح، إذ قال:

«أما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتة، يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة يزعمون أنهم من كندة من السكاسك، ومثل زناتة تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة فروا أمام بني إسرائيل، وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة، ومثل عمارة أيضًا وزواوة ومكلاتة يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير... وهذه كلها مزاعم، والحق الذي شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب».

ويلاحظ هنا أن ابن خلدون لا ينقل مجرد اختلاف في أسماء الأجداد، وإنما يقرر أن هذه الانتسابات العربية التي ظهرت عند عدد من القبائل البربرية ليست كافية لإثبات أصل عربي، ويرى أن القرائن التاريخية والجغرافية واللغوية تدل على مغايرتها للعرب.

أما ابن حزم فقد كان أكثر صراحة في رد دعوى انتساب البربر إلى حمير، فقال:

«قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح - عليه السلام - وادّعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى برّ بن قيس عيلان. وهذا باطل، لا شك فيه».

ثم قال:

«ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن».

وهذا النص مهم في تحقيق المسألة؛ لأن ابن حزم لا ينكر وجود دعوى الانتساب إلى حمير، وإنما ينكر صحتها.

وعليه ينبغي التفريق بين أمرين:

الأول: أن بعض جماعات البربر، ومنهم هوارة، انتسبوا في بعض الروايات إلى حمير.

الثاني: أن هذه الدعوى ثبتت نسبًا تاريخيًا.

فالأول ثابت من خلال نقل المؤرخين لها، أما الثاني فهو موضع النزاع، وقد ردّه عدد من كبار النسابة.

<u>دعوى النسب الكندي</u>

من الروايات التي ارتبطت بهوارة تحديدًا دعوى انتسابهم إلى كندة. وقد نقل ابن خلدون عن نسابة البربر قولهم:

«ومثل هوارة يزعمون أنهم من كندة من السكاسك».

وهذه الرواية تختلف عن دعوى النسب الحميري من حيث تحديد القبيلة العربية التي يُدّعى الانتساب إليها، لكنها تشترك معها في كونها تجعل هوارة من العرب القحطانيين.

ومن المهم هنا أن ابن خلدون لم يوردها بوصفها حقيقة نسبية، وإنما أوردها في سياق الدعاوى التي نسب بها بعض نسابة البربر قبائلهم إلى العرب، ثم عقب على هذه الدعاوى بقوله:

«وهذه كلها مزاعم، والحق الذي شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب».

وعليه فإن نسبة هوارة إلى كندة من السكاسك تُثبت باعتبارها رواية من الروايات المنقولة عن بعض النسابة، لكنها لا تكفي وحدها لإثبات أصل

كندي للقبيلة، ولا سيما مع وجود رواية أخرى أكثر تكررًا في كتب أنساب البربر تجعل هوارة من هوار بن أوريغ بن برنس.

<u>دعوى النسب القيسي</u>

لم يقتصر الخلاف على الانتساب إلى اليمن، بل ظهرت أيضًا رواية تجعل بعض البربر من قيس عيلان. وقد نقل ابن حزم هذه الدعوى فقال:

«وادّعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى برّ بن قيس عيلان».

ثم ردها بقوله:

«وهذا باطل، لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابنًا اسمه برّ أصلًا».

وهذه العبارة ذات أهمية خاصة؛ لأن ابن حزم لا يناقش مجرد صلة بعيدة بين قبيلة قيسية وهوارة، وإنما يناقش حلقة نسبية محددة، وهي دعوى وجود رجل اسمه برّ بن قيس عيلان، ويرى أن أهل النسب لا يعرفون لقيس بن عيلان ابنًا بهذا الاسم.

ثم يقول: «ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن».

وهكذا يجمع ابن حزم بين نقد دعوى الانتساب القيسي ونقد دعوى الانتساب الحميري، ويجعل كلاهما من الروايات التي لا تقوم عنده على أساس صحيح.

ومن هنا تظهر فائدة العودة إلى نصوص النسابة المتقدمين؛ إذ إن مجرد العثور على قبيلة تحمل اسمًا عربيًا أو تدعي أصلًا عربيًا لا يكفي لإثبات ذلك الأصل، ما لم تتوافق معه سلسلة نسبية معروفة وشواهد تاريخية مستقلة.

تفسير ظهور الانتسابات العربية

إن تعدد الروايات التي نسبت بعض قبائل البربر، ومنها هوارة، إلى أصول عربية يفتح سؤالًا مهمًا: كيف ظهرت هذه الانتسابات، إذا كانت المصادر النسبية الأقدم والأكثر تكررًا تجعل هوارة من البربر؟

والجواب لا ينبغي أن يكون محصورًا في تفسير واحد؛ فقد شهد تاريخ المغرب ومصر تداخلًا واسعًا بين القبائل والجماعات، وكان من الطبيعي أن تنتج عن هذا التداخل ظواهر متعددة من الحلف والولاء والمصاهرة والجوار والتعرب والاندماج السياسي.

الحلف

كان الحلف القبلي من أهم وسائل تكوين التجمعات القبلية وتوسعها.
فقد تدخل جماعة في حلف جماعة أخرى، ثم يصبح اسم الحلف أو القبيلة الغالبة شاملًا لجماعات متعددة الأصول. ولهذا لا يصح بمجرد دخول جماعة في حلف قبيلة عربية أن يُجعل ذلك دليلًا قاطعًا على وحدة النسب بين الطرفين.

الولاء

وقد يؤدي الولاء إلى ارتباط جماعة بقبيلة أو بيت ذي مكانة، ثم يصبح الانتساب إليه مستعملًا في المعاملات أو الرواية أو التعريف القبلي، دون أن يعني ذلك بالضرورة أن جميع الداخلين فيه من صلب ذلك النسب.

المصاهرة

كما كان للمصاهرة أثر بالغ في المجتمعات القبلية؛ فزواج البطون والجماعات من بعضها يؤدي مع مرور الزمن إلى نشوء روابط نسبية واجتماعية متشابكة، وقد يطغى أحد الانتسابين على الآخر بحسب مكانة القبيلة أو قوة العصبية أو كثرة العدد.

الجوار

والجوار من صور الارتباط الاجتماعي التي ينبغي عدم إغفالها؛ فقد تسكن جماعات متجاورة زمنًا طويلًا، وتتداخل مصالحها، حتى يصبح التفريق بينها في بعض المصادر المتأخرة أقل وضوحًا.

التعرب

أما التعرب فهو أوسع من مجرد الانتساب النسبي؛ فقد تتعرب الجماعة في لغتها وثقافتها وعاداتها وعلاقاتها السياسية والاجتماعية، حتى تصبح عربية الثقافة واللسان، مع بقاء أصلها النسبي المختلف. وهذا يفسر جانبًا من الظاهرة التي لاحظها المؤرخون في قبائل المغرب، حيث امتزجت العناصر العربية والبربرية على مدى قرون طويلة.

وقد أشار ليون الإفريقي إلى أثر الاتصال المستمر بالعرب في لغة قبائل المغرب، مبينًا أن القبائل الأقرب إلى مساكن العرب والأكثر اتصالًا بهم كانت أكثر استعمالًا للكلمات العربية في لهجاتها.

وهذا يوضح أن وجود عناصر عربية في اللغة أو الثقافة لا يساوي بالضرورة إثبات النسب العربي.

الاندماج السياسي

أما الاندماج السياسي فقد كان من أقوى العوامل تأثيرًا؛ فالقبيلة التي تدخل في دولة أو إمارة أو حلف واسع قد تتداخل مع جماعات أخرى، ويصبح الانتماء السياسي الجديد إطارًا جامعًا يتجاوز الأصل النسبي القديم. وقد ظهر هذا بوضوح في تاريخ هوارة نفسها، التي انتقلت

جماعات منها من بلاد المغرب إلى مصر، ثم أصبحت لها مكانة سياسية وعسكرية كبيرة في الصعيد، ودخلت في تحالفات وصراعات مع جماعات وقبائل أخرى.

وبعد أن عرضنا الروايات النسبية المتعلقة بأصل البربر، وفصلنا بين الروايات المختلفة، ووقفنا على ما ورد في نسب برنس ومادغيس وأوريغ وهوّار، وعلى ما ذكره ابن حزم وابن خلدون والقلقشندي والمقريزي وغيرهم، فإن الذي ينتهي إليه هذا التحقيق أن هوارة من الشعوب الأمازيغية، وأن نسبها الأقرب الذي تضافرت عليه المصادر هو:

هوّار بن أوريغ بن برنس بن بربر بن مازيغ بن كنعان حام بن نوح عليه السلام.

وبذلك تكون هوارة من شعوب البرانس من البربر، ولا يغير من ذلك ما ورد من روايات نسبت بعضهم إلى حمير أو كندة أو قيس؛ إذ قد بينا أن تلك الروايات جاءت مخالفة للرواية النسبية التي تكررت في مصادر أنساب البربر، كما ناقشنا العوامل التي يمكن أن تفسر ظهور الانتسابات العربية من حلف وولاء ومصاهرة وجوار وتعرب واندماج سياسي.

ولا يعني ذلك أن تاريخ هوارة اقتصر على هذا النسب المجرد؛ فالقبيلة، كغيرها من القبائل الكبرى، اتسع كيانها عبر الزمن، ودخلت فيه بطون وجماعات، وتفرعت منه فروع كثيرة، حتى أصبح اسم هوارة يطلق على كيان قبلي واسع الانتشار.

وقد كان شعب أوريغة من الشعوب الكبرى المتفرعة من برنس، وانقسم إلى أربعة شعوب عظيمة، هي: لهانة، وبنو مغر، وفلدن، وهوارة؛ فأما لهانة فنسبتهم إلى لهان بن ملد بن أوريغ، وأما بنو مغر فنسبتهم إلى جدهم الأعلى مقّر بن أوريغ، ويقال له أيضًا مغر، وأما فلدن فنسبتهم إلى جدهم الأعلى فلدن بن أوريغ، وأما هوارة فنسبتهم إلى هوّار بن أوريغ. فهؤلاء جميعًا إخوة هوارة من بني أوريغ.

ومن حيث التاريخ، كانت لهوارة مواطن واسعة في بلاد المغرب، وكانت منازلها في عهد الفتوحات الإسلامية في نواحي طرابلس وما يليها من مناطق برقة وسرت، وكانوا ظواعن وأهلين، ثم تحركت جماعات منهم مع الفاتحين المسلمين، فانتشروا في سائر بلاد المغرب، وشاركت منهم جماعات في الحركات العسكرية التي اتجهت إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد، ثم شاركت عناصر بربرية في فتح صقلية بقيادة أسد بن الفرات.

وقد ترتب على هذه الحركات والهجرات أن انتشرت بطون هوارة في مواطن متعددة، وظهرت لها فروع في بلاد المغرب وغيرها، ودخلت بعض الجماعات في حلفها أو اندمجت في كيانها، وهو ما يفسر اتساع مدلول اسمها في المصادر التاريخية اللاحقة.

وهنا ينتهي التحقيق النسبي، وننتقل إلى مرحلة أخرى من البحث، لا تتعلق بسلسلة الأجداد، وإنما تتعلق بتاريخ القبيلة ومواطنها وحركتها وانتشارها.

القسم الثاني: التاريخ والجغرافيا

هوارة في بلاد المغرب

بعد الفراغ من التحقيق النسبي والوقوف على الروايات المختلفة في أصل هـوارة، ينتقـل البحث في هـذا المبحث من سـؤال «من هم هـوارة؟» إلى سـؤال آخـر هـو: «أين كـانت مـواطنهم؟ وكيـف تحركـوا وانتشـروا عـبر التاريخ؟»

وهـذا الانتقـال ضـروري؛ لأن التـاريخ الجغـرافي لهـوارة يكشـف عن قبيلـة واسعة الانتشار، لم تستقر في موطن واحد، وإنما تحركت بطونها وفروعها عـبر منـاطق متعـددة من بلاد المغـرب، ثم تجـاوز بعضـها هـذه البلاد إلى الأنـدلس وصـقلية، قبـل أن تنتقـل جماعـات كبيرة منهـا في عصـور لاحقـة إلى مصر.

كمـا أن دراسـة المـواطن لا ينبغي أن تُخلـط بمسـألة النسـب؛ فوجـود هـوارة في منطقة معينة لا يثبت وحده أصلها النسبي، وإنما يقدم شـاهدًا تاريخيًا على وجودها وانتشارها وحركتها.
كانت هوارة من القبائل الأمازيغية الكبرى التي انتشرت في بلاد المغـرب، وتظهـر أخبارهـا في المصـادر الجغرافيـة منـذ القـرون الأولى للإسـلام في مناطق واسعة تمتد من بلاد الزاب والأوراس إلى طرابلس وسرت وبرقة.

ويذكر اليعقوبي هوارة ضمن قبائل البربر التي كانت منازلها في بلد الزاب، ويحدد وجودها حول باغاية، فيقول إنهم:
«ببلد الزاب يحومون حول مدينة باغاية من جبل جليل يقال له أوراس، يقع عليه الثلج».
وهذه الشهادة تبين أن هوارة كانت حاضرة في منطقة الزاب والأوراس، وهي منطقة كانت من المواطن المهمة للقبائل الأمازيغية في بلاد المغرب الأوسط.

غير أن اليعقوبي لا يحصرهم في هذه المنطقة، بل يذكر امتداد منازلهم إلى جهة أخرى، فيقول: «وتوجد منازلهم أيضًا من آخر عمل سرت إلى أطرابلس».
وهذا يدل على أن المجال الجغرافي لهوارة كان واسعًا، وأن مساكنها لم تكن مقصورة على موضع واحد، بل امتدت عبر مناطق متباعدة.

هوارة في الزاب والأوراس

كان الزاب من المواطن التي ظهر فيها اسم هوارة بوضوح في المصادر الجغرافية المبكرة.

ويكتسب ذكر باغاية وجبل أوراس أهمية خاصة؛ لأن المنطقة كانت ذات موقع استراتيجي في بلاد المغرب الأوسط، وشهدت وجود عدد من القبائل الأمازيغية الكبرى.

ويمكن فهم وجود هوارة في هذه المنطقة في إطار طبيعة الحياة القبلية في بلاد المغرب، حيث كانت القبائل تتحرك بين المواطن بحسب المرعى والماء والظروف السياسية والعسكرية، فلم تكن الحدود بين مواطن القبائل ثابتة على الدوام.

ولهذا ينبغي ألا يُفهم ذكر هوارة في الزاب على أنه يعني أن جميع بطونها كانت مجتمعة فيه في زمن واحد، وإنما يدل على وجود فرع أو جماعات هوارية ضمن المجال الجغرافي الذي وصفه اليعقوبي.

إلى جانب الزاب والأوراس، ارتبط اسم هوارة بالمناطق الواقعة في غرب ليبيا وشرقها، ولا سيما طرابلس وسرت وبرقة.

وقد نقل اليعقوبي، كما تقدم، أن منازل هوارة كانت:
«من آخر عمل سرت إلى أطرابلس».

وهذه العبارة من أهم الشهادات الجغرافية في تحديد نطاق انتشارهم في تلك المرحلة.

كما ارتبطت هوارة بمناطق برقة، التي كانت بدورها من المناطق التي شهدت حركة القبائل الأمازيغية والعربية وانتقالها بين شمال أفريقيا ومصر. وهذا الموقع الجغرافي جعل هوارة في منطقة اتصال بين المغرب وطرابلس وبرقة ومصر، وهو ما سيكون له أثر كبير في الهجرات اللاحقة للقبيلة نحو مصر.

هوارة وحركة الفتوحات الإسلامية

لم يكن حضور هوارة في بلاد المغرب مقتصرًا على الإقامة، بل شاركت جماعات من البربر في الحركات العسكرية التي صاحبت الفتوحات الإسلامية.

وبعد دخول الإسلام إلى بلاد المغرب، دخلت القبائل الأمازيغية في علاقات متعددة مع القوى الإسلامية، فشارك بعضها في الجيوش، ودخل بعضها الآخر في أحلاف سياسية وعسكرية، وتحركت جماعات من قبائل المغرب مع الجيوش الإسلامية إلى مناطق بعيدة.

وكان هوارة من القبائل التي اتسع انتشارها نتيجة هذه التحركات، فانتقلت جماعات منها من مواطنها في المغرب إلى جهات أخرى.

ومن المهم هنا أن نؤكد أن الحديث عن مشاركة هوارة في الفتوحات لا يعني أن كل جماعة هوارية خرجت من موطنها، وإنما المقصود مشاركة فروع وجماعات منها ضمن الحركة الأمازيغية والعسكرية العامة التي شهدها المغرب الإسلامي.

كان انتقال البربر إلى الأندلس من أبرز نتائج الفتح الإسلامي، فقد شاركت القبائل الأمازيغية في الجيوش التي عبرت إلى الأندلس في عهد

طارق بن زياد النفزاوي الأمازيغي[١]. وكان جيش طارق يضم عددًا كبيرًا من البربر، ولذلك أصبحت الأندلس موطنًا جديدًا لجماعات أمازيغية متعددة.

ولا ينبغي أن تُنسب جميع العناصر البربرية التي عبرت إلى الأندلس إلى هوارة، وإنما المقصود أن جماعات هوارية كانت ضمن حركة البربر التي شاركت في الفتح والاستقرار بالأندلس.

وهكذا انتقل جزء من النشاط الهواري من المجال المغاربي إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط، ضمن حركة تاريخية واسعة لم تكن خاصة بهوارة وحدها.

لم يتوقف انتشار العناصر الأمازيغية عند الأندلس، بل شاركت جماعات من سكان المغرب في الحملات الإسلامية على صقلية. ومن أشهر هذه الحملات حملة أسد بن الفرات في القرن الثالث الهجري، التي ضمت عناصر متعددة من سكان المغرب.

١- ذكر ابن عذاري المركشي نسب طارق بن زياد رحمه الله إلى قبيلة نفزة الأمازيغية ونفزة واحدى قبائل مادغيس الأبتر بن برّ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والغرب. جـ ٢ صـ ٥، ٤٣.

وكان انتقال هذه الجماعات نتيجة طبيعية لاتساع المجال العسكري والسياسي للدولة الإسلامية، وتعدد الحملات التي انطلقت من بلاد المغرب نحو الجزر والبلاد الواقعة في البحر المتوسط.

وبذلك أصبحت هوارة، ضمن القبائل الأمازيغية المشاركة في هذه التحركات، جزءًا من تاريخ أوسع تجاوز حدود بلاد المغرب نفسها.

شهادة ليون الإفريقي

ومن المصادر المهمة في معرفة انتشار هوارة ووضعها بين قبائل المغرب شهادة ليون الإفريقي، الذي عاش في أواخر القرن التاسع الهجري وأوائل القرن العاشر الهجري.

وقد عدّ ليون الإفريقي هوارة ضمن الشعوب الكبرى التي ذكرها عند حديثه عن الأفارقة، فجعلهم مع:
صنهاجة، ومصمودة، وزناتة، وغمارة.

وتكشف شهادته عن بقاء هوارة في عداد القبائل الكبرى المعروفة في بلاد المغرب، كما يقدم وصفًا مهمًا للظاهرة اللغوية الناتجة عن الاتصال بين العرب والبربر.
فقد أشار إلى أن القبائل الأقرب إلى مساكن العرب والأكثر اتصالًا بهم كانت أكثر استعمالًا للألفاظ العربية، بسبب الاتصال الشفوي المستمر.

وهذه الشهادة مهمة لأنها تفسر جانبًا من التعرب اللغوي والثقافي الذي أصاب بعض القبائل الأمازيغية، دون أن يعني ذلك بالضرورة تغير أصلها النسبي.

أدى اتساع مواطن هوارة وكثرة انتقالها إلى ظهور فروع متعددة، كما دخلت في كيانها جماعات أخرى عبر الحلف والجوار والتحالفات السياسية. وهذا يفسر اتساع اسم هوارة في المصادر التاريخية، بحيث أصبح يدل أحيانًا على كيان قبلي واسع لا يقتصر بالضرورة على ذرية هوار المباشرة.

ومن هنا ينبغي التمييز بين:

النسب: هوار بن أوريغ بن برنس بن بربر بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

والكيان القبلي التاريخي:

وهو مجموع البطون والجماعات التي حملت اسم هوارة أو دخلت في حلفها واندمجت في كيانها عبر القرون.

وهذا أمر مألوف في تاريخ القبائل الكبرى؛ إذ قد يبدأ الاسم من جد واحد، ثم يتسع مدلوله مع الزمن نتيجة الحلف والهجرة والمصاهرة والاندماج السياسي.

الخلاصة

تكشف المصادر الجغرافية والتاريخية عن انتشار واسع لهوارة في بلاد المغرب، فقد عُرفت مواطنهم في الزاب والأوراس، وامتدت مساكنهم إلى سرت وطرابلس وبرقة، ثم تحركت جماعات منهم ضمن موجات الفتوحات والهجرات الإسلامية إلى مناطق أخرى.

وتأتي شهادة اليعقوبي في مقدمة الشهادات الجغرافية المهمة، إذ أثبت وجودهم في الزاب حول باغاية، وذكر امتداد مساكنهم من آخر عمل سرت إلى طرابلس. أما ليون الإفريقي فيقدم شهادة متأخرة تؤكد استمرار حضور هوارة ضمن القبائل الأمازيغية الكبرى، كما تكشف شهادته عن أثر الاتصال بالعرب في اللغة والثقافة.

وبذلك تظهر هوارة في التاريخ المغربي بوصفها قبيلة أمازيغية واسعة الانتشار، متعددة المواطن والفروع، كثيرة الحركة والانتقال، وهو ما يفسر ظهورها في مصادر تاريخية وجغرافية متباعدة، ويمهد لفهم المرحلة التالية من تاريخها، وهي انتقال فروعها واستقرارها في مصر وصعيدها.

هجرة هوارة إلى مصر

لم تكن صلة هوارة بمصر حادثة متأخرة، وإنما جاءت في سياق حركة الهجرات المغربية إلى الديار المصرية، وهي حركة قديمة اتسعت على مر العصور، ولا سيما مع الفتح الإسلامي ثم في العصر الفاطمي وما تلاه. وقد انتقلت جماعات من قبائل المغرب إلى مصر، واستقرت في مناطق متعددة من الدلتا والبحيرة والفيوم والصعيد، ثم تتابعت حركات الانتقال والاستقرار حتى أصبح لبعض هذه القبائل حضور راسخ في المجتمع المصري.

وكانت هوارة من أبرز القبائل المغربية التي انتقلت إلى مصر، ثم أصبح لها فيها شأن واسع، ولا سيما في صعيد مصر، حيث تكونت لها إمارة ونفوذ سياسي وعسكري كبيران، واستمرت بطونها وأفخاذها في الانتشار والاستقرار في مناطق مختلفة من الوجه القبلي.

ولا ينبغي النظر إلى هذه الهجرة بمعزل عن السياق العام لحركة القبائل المغربية إلى مصر؛ فقد كان الانتقال بين بلاد المغرب ومصر مستمرًا، وتداخلت خلاله عوامل سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية متعددة،

كما أسهمت الأحلاف والمصاهرات والاستقرار في إعادة تشكيل التركيبة القبلية للجماعات المهاجرة.

<u>الهجرات المغربية إلى مصر</u>

كانت الهجرة من بلاد المغرب إلى مصر قديمة العهد، وكان الطريق الواصل بين بلاد المغرب ومصر معبرًا مفتوحًا منذ أقدم العصور، ثم ازدادت حركة الانتقال بعد دخول العرب المسلمين إلى بلاد المغرب واختلاطهم بالبربر.

وقد كان للفاطميين أثر بارز في انتقال جماعات مغربية كبيرة إلى مصر؛ إذ اعتمد الفاطميون في تأسيس دولتهم في بلاد المغرب على عدد من القبائل المغربية، ودخلت جماعات منها في جيوشهم، فلما انتقلت الدولة الفاطمية إلى مصر انتقلت معها أعداد من هذه القبائل، فكان العصر الفاطمي مرحلة مهمة من مراحل الهجرات المغربية إلى مصر.

واستقرت جماعات من المهاجرين المغاربة في الجانب الغربي من البلاد، ولا سيما في غربي الدلتا والبحيرة والفيوم والواحات، كما اتجهت بعض الجماعات شرقًا، وانتقلت أخرى إلى صعيد مصر.

ولم تكن هذه الجماعات على نسب واحد؛ فمنها من انتسب إلى القبائل العربية، ومنها من احتفظ بانتسابه إلى أصوله البربرية، كما وقع بين هذه الجماعات اختلاط واسع بالعرب عن طريق الحلف والولاء والمصاهرة والجوار، وهو ما أسهم مع مرور الزمن في ظهور انتسابات عربية لدى جماعات كانت أصولها في بلاد المغرب.

وفي هذا السياق جاءت هجرة هوارة إلى مصر؛ فقد كانت منازلهم في العصر الفاطمي في البحيرة وما بين الإسكندرية والعقبة الكبيرة من برقة، ثم تطورت حركتهم داخل مصر في العصور التالية، حتى انتقل جانب كبير منهم إلى الصعيد في عهد السلطان الظاهر برقوق.

وهكذا فإن وجود هوارة في مصر لم يكن منفصلًا عن حركة الهجرات المغربية العامة، وإنما كان جزءًا من حركة تاريخية أوسع شملت قبائل مغربية متعددة، ثم اتخذت كل قبيلة منها مسارًا خاصًا في الاستقرار والانتشار.

<u>هوارة في البحيرة</u>

كانت البحيرة من أهم المواطن المصرية التي استقرت بها جماعات هوارة قبل انتقالها إلى صعيد مصر.

وتشير الروايات التاريخية إلى أن منازل هوارة كانت في زمن الفاطميين تمتد من الإسكندرية غربًا إلى العقبة الكبيرة من برقة، وهو ما يكشف عن اتساع المجال الجغرافي الذي تحركت فيه القبيلة في تلك المرحلة.

وظلت هوارة في هذه النواحي مدة من الزمن، ثم جاء عهد المماليك فتغيرت خريطة الاستقرار القبلي في مصر نتيجة الصراعات بين السلطة المركزية والقبائل العربية والمغربية، وما ترتب على ذلك من عمليات نقل وإقطاع وإعادة توطين.

وكان انتقال هوارة إلى الصعيد مرحلة مفصلية في تاريخها المصري؛ إذ لم تكن مجرد هجرة سكانية عادية، بل ترتب عليها ظهور قوة قبلية كبيرة في صعيد مصر، أصبح لها نفوذ سياسي وعسكري واقتصادي واسع.

<u>انتقال هوارة إلى جرجا</u>

بلغ انتقال هوارة إلى صعيد مصر مرحلة حاسمة في عهد الظاهر برقوق، الذي أنزل جماعات منهم في الصعيد قبل توليه السلطنة، ثم أقطع شيخهم إسماعيل بن مازن ناحية جرجا وما حولها.

وكانت جرجا في ذلك الوقت أقل شهرة من بعض مراكز الصعيد الأخرى، إلا أن نزول هوارة بها أسهم في نموها واتساع شأنها، ثم أصبحت لاحقًا من أهم مراكز الصعيد.

ويذكر المقريزي في حديثه عن هوارة:

«وهوّارة تتناسب بطونها كما تنتسب العرب، وأصل ديارها من آخر عمل سرت إلى طرابلس، ثم قدم منهم طوائف إلى أرض مصر، وتركوا بلاد البحيرة وملكوها من قبل السلطان هوارة التي ببلاد الصعيد، أنزلهم الظاهر برقوق بعد واقعة بدر بن سلام هناك في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة تخمينًا؛ وذلك أنه أقطع إسماعيل بن مازن منهم ناحية جرجا، وكانت خرابًا، فعمرها وأقام بها حتى قتله علي بن غريب، فولّي بعده عمر بن عبد العزيز الهواري حتى مات».

ويكشف هذا النص عن عدد من الحقائق المهمة؛ أولها أن هوارة كانت قد عرفت مواطن في بلاد المغرب تمتد إلى نواحي سرت وطرابلس، وثانيها أن جماعات منها انتقلت إلى مصر واستقرت أولًا في البحيرة، وثالثها أن انتقالها إلى الصعيد ارتبط بإعادة توطين سياسية في عهد

الظاهر برقوق، وأن إسماعيل بن مازن كان من أبرز من تولى أمرها في جرجا.

وبعد مقتل إسماعيل بن مازن، تولى عمر بن عبد العزيز الهواري، الذي أصبح من أبرز أمراء عربان الصعيد، وتذكر المصادر أنه كان والد بني عمر، وأنه كان من أوائل من تولوا إمرة العربان في تلك البلاد.

ومنذ استقرار هوارة في الصعيد أخذ نفوذها يتعاظم، وانتشرت بطونها في مناطق واسعة من الوجه القبلي، وأصبحت لها قوة عسكرية وسياسية مؤثرة، حتى صار أحد رؤسائها يتولى إمرة عربان الصعيد.

ثم تطور هذا النفوذ في القرون التالية، وبلغ ذروته في عهد أولاد همام، ولا سيما في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، حين أصبحت هوارة من أقوى القوى القبلية في صعيد مصر، ودخل شيوخها في التفاعلات السياسية مع المماليك والسلطة العثمانية.

وبذلك فإن انتقال هوارة إلى جرجا لا يمثل مجرد انتقال جغرافي من البحيرة إلى الصعيد، بل يمثل نقطة تحول رئيسة في تاريخ هوارة

المصـرية؛ إذ انتقلت القبيلـة من مرحلـة الاسـتقرار في غـرب الـدلتا إلى مرحلة بناء نفوذ قبلي واسع في الصعيد، ثم أصبح اسمها مرتبطًا بتاريخ المنطقة السياسي والاجتماعي لعدة قرون.

هوارة في صعيد مصر ونفوذها السياسي

لم يكن انتقال هوارة إلى صعيد مصر نهاية لحركتها التاريخية، بل كان بداية مرحلة جديدة من تاريخها، اتسمت بتعاظم نفوذها السياسي والعسكري، واتساع رقعة انتشارها، ودخولها في شبكة التحالفات والصراعات التي شهدها الصعيد المصري في العصور المملوكية والعثمانية.

وقد ساعد استقرار هوارة في الصعيد على تكوين قوة قبلية كبيرة، ولا سيما بعد نزول بطونها في جرجا وما حولها، ثم انتشارها تدريجيًا في أجزاء واسعة من الوجه القبلي. ومع مرور الزمن أصبحت لها إمارة ونفوذ يتجاوزان حدود قبيلتها، حتى غدا بعض شيوخها أصحاب سلطة على طائفة واسعة من عربان الصعيد.

إمارة هوارة في الصعيد وعمر بن عبد العزيز الهواري

كان من أبرز الشخصيات التي ارتبط بها صعود نفوذ هوارة في الصعيد عمر بن عبد العزيز الهواري، الذي تولى إمارة العربان بعد إسماعيل بن مازن.

وقد حفظت المصادر له مكانة بارزة في تاريخ عربان الصعيد، ويذكر أبو المحاسن في النجوم الزاهرة:

«وعمر هذا هو والد بني عمر، أمراء العربان ببلاد الصعيد في زماننا هذا، ولعله يكون أول من وُلّي منهم الإمرة».

وتكشف هذه الشهادة عن انتقال هوارة من مجرد جماعة مهاجرة ومستقرة في الصعيد إلى قوة سياسية أصبح أحد رؤسائها يتولى إمرة العربان في البلاد.

وتوفي عمر بن عبد العزيز الهواري سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م، إلا أن نفوذ البيت الذي أسسه لم ينته بوفاته، بل استمرت فروعه في الصعيد، وأصبحت من الأسر ذات المكانة والنفوذ بين عربان البلاد.

ومن هنا يمكن اعتبار إمارة عمر بن عبد العزيز مرحلة مبكرة في تكوين النفوذ الهواري بالصعيد، وهي مرحلة سبقت بروز القوى الهوارية الكبرى في القرون اللاحقة.

أولاد عمر وانتشار الفروع الهوارية

استقرت جماعات هوارة في الصعيد، ثم تشعبت بطونها وفروعها، وانتشرت في مناطق واسعة من الوجه القبلي. ولم تقتصر حياة جميع الهوارة على حياة البداوة والترحال؛ فقد استقرت طوائف منهم في القرى، واشتغلت بالزراعة، ولا سيما زراعة قصب السكر والعمل في دواليبه، حتى أصبح لبعض رجالها ثروات واسعة.

ومن الشخصيات التي تذكرها المصادر في هذا السياق محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري، الذي عُرف بعنايته بزراعة قصب السكر، واستطاع أن يجمع ثروة كبيرة من ورائها.

وفي الوقت نفسه ظلت جماعات أخرى من هوارة محافظة على نمط حياة أقرب إلى حياة البدو، فتحركت جنوبًا نحو أسوان، ودخلت في علاقات وتحالفات وصراعات مع القوى القبلية الموجودة هناك، ومنها بنو الكنز.
وهذا التنوع في أنماط الحياة يوضح أن هوارة في مصر لم تكن جماعة متجانسة في طريقة معيشتها؛ فقد استقرت بعض بطونها في القرى، بينما استمرت بطون أخرى في حياة البادية، وتوسعت جماعات منها جنوبًا حتى دخلت مناطق من وادي النيل والسودان.

هوارة وبنو الكنز والتوسع جنوبًا

تشير الروايات التاريخية إلى أن جماعات من هوارة تحركت جنوبًا نحو أسوان، ودخلت في البداية في تحالف مع بني الكنز، الذين كانوا من القوى القبلية البارزة في المنطقة.

غير أن العلاقة بين الطرفين لم تستمر على حال واحدة، إذ تحولت فيما بعد إلى صراع، وبلغ الأمر أن هاجمت هوارة أسوان وخربتها سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م.

وكانت الفترة الممتدة تقريبًا بين ٨٠٠ و٨١٥هـ مرحلة مهمة في توسع جماعات هوارة جنوبًا، حيث تحركت جموع منهم نحو جنوب الوادي، ودخلت مناطق من سودان وادي النيل. وهذا التوسع يوضح أن النفوذ الهواري لم يكن محصورًا في جرجا ومناطق الصعيد الأوسط، وإنما امتد تدريجيًا إلى جنوب الوادي، متأثرًا بالحركة العامة للقبائل العربية والمغربية في تلك المنطقة.

هوارة في العصر العثماني ونفوذ شيخ العرب همام

بلـغ النفـوذ السياسـي لهـوارة مرحلـة متقدمـة في القـرن الثـاني عشـر الهجري/الثامن عشر الميلادي، ولا سيما مع صعود شيخ العرب همام، الذي أصبح من أقوى زعماء القبائل في صعيد مصر.

ولم يكن نفـوذ همـام قائمًـا على القـوة القبليـة وحـدها، بـل امتـد إلى إدارة شؤون البلاد والتعامل مع السلطة المركزية، حتى أصبح لـه نفوذ واسع في جباية الضرائب وإدارة مناطق كبيرة من الصعيد.

وتـذكر هيلين في كتـاب الاقتصـاد والإدارة في مصـر في مسـتهل القـرن التاسع عشر، في ترجمة أحمد عبد الرحيم، أن همامًا، بوصفه أمير هوارة، أمـد الحكومـة في القـاهرة بحـوالي مائـة وخمسـين ألـف أردب من القمح، ونال في مقابل ذلك سلطة واسعة في جباية الضرائب وحكم المنطقة.

وتكشـف هـذه الروايـة عن حجم القـوة الاقتصـادية التـي امتلكتهـا هـوارة في تلـك المرحلـة، كمـا تكشـف عن طبيعـة العلاقـة بين السـلطة المركزيـة وشـيوخ القبائـل؛ إذ كـانت الدولـة تسـتفيد من نفـوذ الزعمـاء المحليين في إدارة الأقاليم وجمع الضرائب، مقابل الاعتراف بنفـوذهم ومنحهم قـدرًا من السلطة.

كما أن هوارة وجدت في الصراعات المملوكية الداخلية فرصة لتعزيز نفوذها؛ فقد لجأ عدد من الأمراء المتنافسين إلى الصعيد، ووجدت القبائل في مساندتهم وسيلة لتوطيد مكانتها السياسية.

علاقة هوارة بالمماليك والصراع السياسي

دخلت هوارة في الحياة السياسية المصرية، خصوصًا خلال الفترات التي اشتد فيها التنافس بين الأمراء المماليك.

ويذكر الجبرتي أن الهوارة ظلوا يشتركون في الحياة السياسية، ويؤيدون فريقًا من الحكام في مواجهة فريق آخر، واستمر ذلك إلى عهد مراد بك وإبراهيم بك.

وتوضح هذه المشاركة أن هوارة لم تكن قوة قبلية منعزلة عن الدولة، وإنما أصبحت طرفًا في التوازنات السياسية في مصر، وخاصة في الصعيد.

وقد أدرك بعض الحكام خطورة القوة التي أصبح يمثلها شيوخ هوارة، فبدأت محاولات الحد من نفوذهم، خصوصًا عندما تجاوز نفوذهم الإطار القبلي إلى التأثير في السياسة والإدارة والاقتصاد.

وكان شيخ العرب همام أبرز مثال على هذا النوع من النفوذ؛ فقد استطاع أن يجعل له سلطة واسعة في الصعيد، وأن يدخل في علاقات سياسية مع القوى المملوكية المتنافسة في القاهرة.

<u>مراد بك وإبراهيم بك ونهاية القوة الهوارية</u>

استمرت قوة هوارة في الصعيد حتى اصطدمت بصورة مباشرة بالقوى المملوكية الحاكمة. ويذكر الجبرتي أنه في سنة ١٢١١هـ/١٧٧٧م انتهى الأمر إلى أن قتل مراد بك شيخ الهوارة وصادر أموالهم، وهو ما شكل ضربة قوية لنفوذهم.

ثم جاءت مرحلة أخرى من التراجع في أوائل القرن الثالث عشر الهجري؛ إذ يذكر الجبرتي أنه في سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م انتهى أمر الهوارة إلى قدومهم إلى القاهرة أسرى ورهائن، طالبين العفو والأمان من الوالي.

وتكشف هذه الأحداث عن التحول الكبير الذي طرأ على وضع هوارة؛ فبعد أن كان شيوخها أصحاب نفوذ واسع في الصعيد، وأطرافًا فاعلة في الحياة السياسية، أصبحت القبيلة تواجه سلطة مركزية أكثر قدرة على إخضاع القوى القبلية المحلية. ولا يعني ذلك أن وجود هوارة انتهى من

مصر، وإنما الذي تراجع هو الإمارة السياسية والنفوذ الموحد الذي كانت تتمتع به في مرحلة سابقة.

<u>هوارة في صعيد مصر والسودان</u>

كان نفوذ هوارة قد امتد جنوبًا منذ العصور السابقة، واستمرت بعض بطونها في التحرك والاستقرار في مناطق جنوب الوادي، حتى وصلت جماعات منها إلى السودان.

وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي أصبح لأبناء همام، وهم فرع من هوارة، شوكة قوية في صعيد مصر وشمالي السودان.

وهذا الانتشار الجغرافي الواسع يؤكد أن تاريخ هوارة المصرية لا يمكن اختزاله في جرجا وحدها، وإنما ينبغي النظر إليه ضمن المجال الجغرافي الممتد من الصعيد الأوسط إلى أقصى جنوب الوادي، وقد ساعدت الهجرات المتعاقبة، والتحالفات، والمصاهرات، والاستقرار في القرى، والحركة المستمرة بين مصر والسودان، على انتشار الفروع الهوارية في مناطق مختلفة.

تراجع الإمارة وبقاء هوارة في مصر

أدى الصراع المتزايد بين السلطة المركزية وشيوخ القبائل إلى تراجع النفوذ السياسي الموحد لهوارة، خصوصًا بعد الضربات التي تعرض لها شيوخها في أواخر العصر المملوكي والعثماني.

غير أن تراجع الإمارة لا يعني انقطاع القبيلة؛ فالفارق كبير بين زوال كيان سياسي أو إمارة قبلية وبين انتهاء وجود الجماعة نفسها.

وقد بقيت أسر وفروع كثيرة من هوارة في صعيد مصر، واستقرت في قرى ومراكز متعددة، واحتفظت مناطق مختلفة بأسماء مرتبطة ببطونها.

ومن المناطق التي تذكرها المصادر في هذا السياق قرى وفروع في أسيوط وسوهاج ونجع حمادي وطما وأبي تيج، ومنها أولاد مؤمن، والدناجلة، والبلازد، والصوامع، والغنايم، وأشحوم، والعبابدة، وساحل سليم، وغيرها.

وهكذا انتقلت هوارة في مصر من مرحلة الهجرة والاستقرار إلى مرحلة تكوين النفوذ والإمارة، ثم إلى مرحلة الصراع السياسي والتراجع، دون أن يعني ذلك زوال وجودها القبلي.

الخلاصة

تكشف قصة هوارة في صعيد مصر عن تحول كبير في طبيعة القبيلة بعد استقرارها؛ فقد بدأت جماعة مهاجرة من بلاد المغرب، ثم استقرت في البحيرة، وانتقلت إلى جرجا، ثم تحولت تدريجيًا إلى قوة قبلية وسياسية واسعة النفوذ.

وكان عمر بن عبد العزيز الهواري من أوائل الشخصيات التي ارتبط بها ظهور الإمارة الهوارية في الصعيد، ثم تطور نفوذ الفروع الهوارية حتى بلغ ذروته في عهد شيخ العرب همام، الذي أصبح أحد أبرز الزعماء القبليين في تاريخ مصر الحديث.

ثم اصطدمت هذه القوة بالسلطة المملوكية، وتعرضت لضربات متتابعة أدت إلى تراجع الإمارة والنفوذ السياسي الموحد، غير أن ذلك لم يؤد إلى انقطاع هوارة من مصر؛ إذ بقيت فروعها وأسرها وانتشرت في أنحاء مختلفة من الصعيد، واستمر اسمها حاضرًا في المجتمع المصري.

وبذلك فإن تاريخ هوارة المصرية يمثل مرحلة من تاريخ هوارة الكبرى، ولا ينبغي أن يُفهم على أنه أصل القبيلة أو مبدأ وجودها، وإنما هو فصل من فصول انتقالها وانتشارها خارج مواطنها المغربية الأولى.

نتائج التحقيق

١. أن هوارة من بطون البرانس من البربر، وهي الرواية التي تكررت عند عدد من كبار نسابة البربر والعرب والمؤرخين، وفي مقدمتهم ابن حزم وابن خلدون والقلقشندي وغيرهم.

٢. أن أقرب حلقات نسب هوارة إلى الاتفاق بين المصادر هي: هوّار بن أوريغ بن برنس؛ فقد تكرر هذا النسب في المصادر النسبية، وجُعل هوار بن أوريغ أصلًا لشعب هوارة من شعوب أوريغة.

٣. أن أوريغ بن برنس تفرعت منه بطون متعددة، وكان هوار أحد أبنائه، وغلب اسم هوارة على غيره من إخوته حتى أصبح الاسم الأشهر عند إطلاقه على شعب أوريغة.

٤. أن الروايات تختلف فيما فوق برنس، ولا سيما في أسماء الأجداد التي تصل برنس بالأصول الأقدم، ولذلك ينبغي التفريق بين الجزء الأقوى من السلسلة وبين الحلقات التي وقع فيها اختلاف واضطراب.

٥. أن بعض الروايات القديمة ربطت أصل البربر بمازيغ وبربر وحام بن نوح، وهي روايات وردت بألفاظ وسلاسل مختلفة، ولا يصح جمعها في سلسلة واحدة دون بيان اختلاف مصادرها.

٦. أن الروايات التي نسبت هوارة إلى حمير أو كندة أو قيس عيلان قد وردت في بعض المصادر، لكنها ليست على درجة واحدة من القبول، وقد تعرضت هذه الدعاوى للنقد الصريح عند عدد من كبار النسابين، وفي مقدمتهم ابن حزم وابن خلدون.

٧. أن ابن حزم رد دعوى الانتساب إلى قيس عيلان، ونفى معرفة النسابين لجد يسمى «برّ» في ولد قيس، كما أنكر دعوى وصول حمير إلى بلاد البربر على الصورة التي ذكرتها بعض الروايات.

٨. أن ابن خلدون كذلك نقد دعاوى الانتساب العربي لبعض قبائل البربر، وقرر أن ما نسبته بعض القبائل إلى حمير أو كندة أو غيرهما لا يكفي لإثبات أصلها العربي، وأن العجمة والمواطن تشهد بخلاف تلك الدعاوى في نظره.

٩. أن وجود الحلف أو الولاء أو المصاهرة أو الجوار لا يستلزم تغير الأصل النسبي؛ فقد تنشأ رابطة قبلية أو سياسية بين جماعات مختلفة الأصول، ثم يغلب اسم الحلف أو الجماعة الجديدة على الأفراد مع مرور الزمن.

١٠. أن التعرب الثقافي واللغوي لا يساوي بالضرورة التعرب النسبي؛ فاللغة والعادات والاستقرار والمصاهرة قد تتغير نتيجة

المخالطـة الطويلـة، دون أن يكـون ذلـك دليلًا منفـردًا على تغـير الأصل.

١١. أن مسـمى هـوارة اتسـع تاريخيًـا، ودخلت في هـذا الكيـان بطـون وجماعـات متعـددة، وتفـرعت منـه شـعوب وأفخـاذ كثيرة، ولـذلك لا يصـح افتراض التجـانس النسـبي المطلـق لكـل من حمـل اسـم هـوارة في مختلـف العصـور والأمصـار دون دراسـة كـل فـرع وسياقه.

١٢. أن انتشار هوارة في مصر لا يمثل أصل القبيلة، وإنما يمثل مرحلة من مراحل تاريخها وانتشارها؛ فقد انتقلت جماعات منها من مواطنهـا المغربيـة إلى مصـر، واسـتقرت أولًا في البحـيرة، ثم انتقـل جـانب كبير منهـا إلى صـعيد مصـر، حيث نشـأ لهـا نفـوذ سياسي وعسكري واسع.

١٣. أن هــوارة مصــر فــرع تــاريخي وجغــرافي مهم من هــوارة الكـبرى، وليسـت كـل هـوارة؛ ومن ثم فـإن دراسـة هـوارة المصـرية ينبغي أن توضـع ضـمن تـاريخ القبيلـة الأوسـع، لا أن تُتخـذ وحـدها معيارًا للحكم على جميع بطون هوارة في المغـرب ومصـر والسـودان وغيرها.

وبناءً على مجموع هذه الشواهد، فإن النسب الذي يظهر في هذا التحقيق باعتباره الأقوى والأكثر اتفاقًا في المصادر هو: هوّار بن أوريغ بن برنس بن بربر بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، أما ما فوق برنس من سلاسل الأجداد، فتتفاوت الروايات فيه، ويجب إبقاء مواضع الاختلاف والاحتمال دون جزم لا يسنده الدليل.

الخاتمة

وبعد هذا الاستقراء للروايات النسبية والتاريخية المتعلقة بهوارة، يتبين أن هذه القضية لا يصح تناولها من خلال رواية منفردة، ولا من خلال دعوى متأخرة تُنتزع من سياقها، وإنما لا بد من النظر في مجموع ما حفظته المصادر، ومقارنة رواياتها، وتمييز مواضع الاتفاق من مواضع الاختلاف.

وقد ظهر من خلال ذلك أن الحلقة التي اجتمعت عليها عدة مصادر في نسب هوارة وتم تحقيقها اعتماد عليها أن هوارة هم:

هوّار بن أوريغ بن برنس بن برّ(بربر) بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

وهذه الحلقة هي أقوى ما يمكن أن يقوم عليه أصل النسب الهواري في ضوء الروايات التي جُمعت في هذا البحث، في حين يتسع مجال الاختلاف كلما صعدنا بالسلسلة إلى ما فوق برنس، حيث تتعدد الروايات وتختلف أسماء الأجداد وترتيبهم.

كما ظهر أن الروايات التي جعلت أصل البربر متصلًا بمازيغ وبربر وحام بن نوح تمثل طبقة أخرى من الروايات النسبية القديمة، وأن اختلافها في

ترتيب الأسماء والسلاسل يمنع من التعامل معها وكأنها رواية واحدة متصلة لا اختلاف فيها.

أما ما ورد من انتساب هوارة أو بعض قبائل البربر إلى حمير أو كندة أو قيس عيلان، فقد ثبت وجوده في بعض الروايات، لكن وجود الرواية لا يعني صحة مضمونها؛ وقد وقف ابن حزم وابن خلدون موقفًا نقديًا واضحًا من هذه الدعاوى، ولا سيما ما تعلق منها بإلحاق البربر بأنساب العرب.

وفي الوقت نفسه، فإن نقد هذه الانتسابات لا يعني إنكار ما وقع في التاريخ من الأحلاف والمصاهرات والولاء والجوار والتعرب والاندماج السياسي والاجتماعي؛ فهذه ظواهر تاريخية ثابتة كان لها أثرها في تكوين الجماعات وتوسعها وتغير مسمياتها، وقد ينتج عنها أن تحمل جماعة ما اسم حلف أو جماعة غلبت عليها مع مرور الزمن.

ومن هنا ينبغي التفريق بين الأصل النسبي وبين الانتساب الاجتماعي والسياسي؛ فقد يجتمع الناس تحت اسم واحد، أو يدخل بعضهم في حلف بعض، أو يتصاهرون ويتجاورون، دون أن يعني ذلك بالضرورة أنهم جميعًا من جد واحد.

أما تاريخ هوارة في مصر، فقد كشف عن جانب مهم من هذا الامتداد؛ إذ انتقلت جماعات منها إلى مصر، واستقرت في البحيرة، ثم انتقل جانب كبير منها إلى صعيد مصر، حيث استطاعت أن تنشئ قوة قبلية وسياسية مؤثرة، وأن يكون لها نفوذ امتد إلى مناطق واسعة من الصعيد والسودان. ثم تراجع ذلك النفوذ السياسي في مراحل لاحقة، بينما بقيت بطون هوارة وأسرها في مصر إلى العصور المتأخرة.

وعليه، فإن هوارة مصر ليست إلا فصلًا من تاريخ هوارة الكبرى، كما أن هوارة في المغرب وطرابلس وبرقة ليست منفصلة عن تاريخ القبيلة في سياق حركتها وانتشارها الطويل؛ وإنما ينبغي فهم هذه الفروع ضمن تاريخ أوسع شهد الهجرة والاستقرار والتفرع والتحالف والتداخل بين الجماعات. والذي انتهى إليه هذا البحث، بعد جمع الروايات ومقارنتها، أن أصل هوارة الأقرب ثبوتًا في الرواية النسبية هو انتسابها إلى هوّار بن أوريغ بن برنس، من بطون البرانس، مع بقاء الخلاف في بعض الحلقات الأبعد من ذلك، وعدم صحة تحميل الروايات المختلف فيها أكثر مما تحتمل.

وليس من غرض التحقيق أن يجعل كل ما ورد في كتب الأنساب حقيقة قطعية، كما أنه ليس من منهجه إسقاط الرواية لمجرد وجود اختلاف فيها؛ وإنما غايته أن يضع كل رواية في موضعها، وكل شاهد في مرتبته، وكل خلاف في حدوده، حتى لا يختلط الثابت بالمشهور، ولا المشهور بالمتأخر، ولا الحلف بالنسب، ولا الانتساب بالأصل.

وفي نهاية المطاف، يبقى التاريخ أوسع من أن يُختصر في رواية واحدة، وأدق من أن يُحسم بالظن؛ وإنما تُبنى نتائجه باجتماع الشواهد وتضافر القرائن، وبالتمييز بين ما يمكن إثباته وما ينبغي أن يبقى في دائرة الاحتمال.

والله أعلم، وهو ولي التوفيق.

استدراك المؤلف

في نسب البرانس وهوارة

بعد الفراغ من إعداد هذا البحث ونشره، وقفت على نص مهم عند ابن خلدون في حديثه عن اختلاف نسابة البربر في أصولهم، وهو نص جدير بالتنبيه؛ لما له من صلة مباشرة بالسلسلة النسبية التي تناولها هذا البحث، ولما يكشفه من رواية أخرى في نسب البرانس وما يتفرع عنهم من القبائل، ومن بينها هوارة.

قال ابن خلدون في كتاب العبر، في حديثه عن أنساب البربر:

«وقال هانئ بن بكور الضريسي وسابق بن سليمان المطماطي وكهلان بن أبي لؤي وأيوب بن أبي يزيد وغيرهم من نسابة البربر أن البربر فرقتان كما قدمناه وهما: البرانس والبتر. فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان. والبرانس بنو بربر سحو بن أبزج بن جمواح بن ويل بن شراط بن ناح بن دويم بن داح بن مازيغ بن كنعان بن حام، وهذا هو الذي يعتمده نسابة البربر».

ويكشف هذا النص عن رواية نسبية مهمة عند جماعة من نسابة البربر؛ إذ تجعل البربر فرقتين عظيمتين: البرانس والبتر، وتجعل البرانس من ذرية بربر بن سحو، وتنتهي بهذه السلسلة إلى مازيغ بن كنعان بن حام، في حين تجعل البتر من ولد بر بن قيس بن عيلان.

وتزداد أهمية النص من جهة أن ابن خلدون لم ينسب هذه الرواية إلى نسّاب واحد، وإنما ذكر جماعة من نسابة البربر، وهم: هانئ بن بكور الضريسي، وسابق بن سليمان المطماطي، وكهلان بن أبي لؤي، وأيوب بن أبي يزيد، وغيرهم، ثم أتبع ذلك بقوله: «وهذا هو الذي يعتمده نسابة البربر».

وهذه الرواية لها صلة مباشرة بموضوع هذا البحث؛ لأن هوارة قد ثبت في الروايات التي سبق عرضها أنها من بطون البرانس، وأن نسبها ينتهي إلى:

هوار بن أوريغ بن برنس.

وعليه، فإذا ضُمّت رواية ابن خلدون هذه إلى ما سبق من ثبوت نسب هوارة إلى أوريغ بن برنس، أمكن عرض السلسلة النسبية وفق هذه الرواية على النحو الآتي:

هوار بن أوريغ بن برنس بن بربر بن سحو بن أبزج بن جمواح بن ويل بن شراط بن ناح بن دويم بن داح بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

وبذلك تقدم هذه الرواية سلسلة أطول لنسب هوارة، تصل برنس بما قبله من أجداد البرانس، وتنتهي إلى مازيغ ثم كنعان ثم حام بن نوح عليه السلام.

موضع هذه الرواية من التحقيق

ولا بد هنا من التنبيه إلى أمر منهجي مهم، وهو أن هذه السلسلة لا ينبغي أن تدمج قسرًا مع بقية السلاسل التي أوردها البحث وكأنها رواية واحدة متفق عليها؛ فقد وردت في كتب الأنساب روايات مختلفة في الأجداد الواقعة بين برنس ومازيغ، واختلفت بعض الأسماء وترتيبها من رواية إلى أخرى.

ومن ثم فإن إيراد هذه السلسلة هنا إنما هو إثبات لرواية نسبية أخرى نقلها ابن خلدون عن جماعة من نسابة البربر، وليس حكمًا بأن جميع حلقاتها محل اتفاق.

وبعبارة أدق: فإن الروايات التي تناولها هذا البحث تلتقي في موضع مهم عند:

هوار بن أوريغ بن برنس

ثم يتسع الاختلاف عند البحث عما فوق برنس، فتأتي رواية ابن خلدون هذه فتصل برنس بـ بربر بن سحو، ثم بما بعده من الأجداد إلى مازيغ بن كنعان بن حام.

وعليه يمكن ترتيب هذه الرواية وحدها على النحو الآتي:

هوار بن أوريغ بن برنس بن بربر بن سحو بن أبزج بن جمواح بن ويل بن شراط بن ناح بن دويم بن داح بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

وهذه الرواية لا تنقض ما انتهى إليه البحث من أن هوارة من البرانس، وأن أقوى مواضع الاتفاق في نسبها هو: هوار بن أوريغ بن برنس، وإنما تضيف تفصيلًا آخر في السلسلة الواقعة فوق برنس.

كما أنها تُظهر أهمية التفريق بين أصل التقسيم النسبي للبربر وبين تفاصيل السلاسل التي أوردها النسابة؛ فقولهم بانقسام البربر إلى البرانس والبتر لا يعني بالضرورة أن جميع تفاصيل نسب البرانس قد اتفقت عليها الروايات، بل إن النصوص نفسها تكشف عن تعدد في طرق وصل الأجداد بعضهم ببعض.

<u>سبب إيراد هذا الاستدراك</u>

وقد آثرت إثبات هذه الرواية بعد نشر الكتاب؛ لأن المقصود من التحقيق استقراء ما أمكن من الروايات ومقارنتها، لا الاقتصار على ما وقع عليه الباحث في مرحلة التأليف الأولى. وما دام هذا النص متعلقًا مباشرة بأصل البرانس ونسب هوارة، فإن الأمانة العلمية تقتضي التنبيه إليه، ولو بعد تمام الكتاب ونشره.
ولا يغيّر هذا الاستدراك النتيجة العامة التي انتهى إليها البحث، وإنما يزيدها تفصيلًا؛ إذ يؤكد أن هوارة ترد في الروايات النسبية ضمن البرانس، وأن نسبها

إلى هوار بن أوريغ بن برنس هو الحلقة التي تتكرر في عدد من المصادر، بينما يقع الاختلاف في تفاصيل السلسلة النسبية الأقدم، ولا سيما ما بين برنس ومازيغ.

ومن ثم فإن الصياغة الأدق للنتيجة، في ضوء هذا الاستدراك، هي:
هوارة من بطون البرانس في الرواية النسبية الغالبة عند نسابة البربر، ونسبها الأقرب اتفاقًا: هوار بن أوريغ بن برنس، أما ما فوق برنس فقد وردت فيه روايات متعددة، ومن بينها رواية جماعة من نسابة البربر التي نقلها ابن خلدون، وجعلت البرانس من ذرية بربر بن سحو، وانتهت بهم إلى مازيغ بن كنعان بن حام.

وهذا هو الموضع الذي كان ينبغي التنبيه إليه في أصل البحث، فإثباته هنا استدراكٌ على ما حققناه، لا نقضٌ لما سبقها.

والله أعلم.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر التراثية الأصلية

• ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ).

جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار المعارف.

• ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ).

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: دار الفكر.

وقد اعتمدنا بصورة خاصة على المجلد السادس، فيما يتعلق بأخبار البربر وهوارة وبطونها.

• المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ).

البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. تحقيق ودراسة.

واعتمدنا منه على ما أورده في نسب هوارة، ومواطنها، وانتقالها إلى مصر، ونزولها جرجا.

• الهمداني، الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤هـ).

• الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير.

المجلد الأول، صـ١٠٥، فيما يتعلق بروايات ولد حام وما ورد في نسب كوش ومازيغ.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ).

كتاب التيجان في ملوك حمير.

واعتمدنا على الرواية المنقولة فيه عن وهب بن منبه في صـ٣٣، المتعلقة بحام ومازيغ وبربر.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ).

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.

واعتمدنا منه على ذكر بني أوريغ وموضعهم من البرانس.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ).

صبح الأعشى في صناعة الإنشا.

واعتمدنا منه على قوله في: «بنو هوارة بن أوريغ بن برنس بن بربر».

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد ٢٩٢هـ).

كتاب البلدان.

واعتمدنا على وصفه لمواطن هوارة في الزاب وبرقة وطرابلس، وعلى ما نقله في دعاوى نسبهم.

- أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ).

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.

واعتمدنا منه على خبر عمر بن عبد العزيز الهواري، وإشارته إلى بني عمر وإمارتهم على عربان الصعيد.

- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٧هـ).

عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

واعتمدنا منه على أخبار هوارة في العصر العثماني، وصلتهم بمراد بك وإبراهيم بك، وأحداث ١٢١١هـ و١٢٢١هـ.

ثانيًا: المصادر التاريخية والجغرافية الحديثة

- ليون الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان.

وصف إفريقيا.

واعتمدنا منه على تقسيم قبائل البربر، وذكر هوارة، ومسألة اللغة والتعرب والاختلاط بالعرب.

- جوبير، أميديه.

وصف مصر.

واعتمدنا على وصفه لهوارة في صعيد مصر، وكثرة فرسانهم، وذكر فرشوط وطريقة اختيار شيخ القبيلة.

- أحمد لطفي السيد.

قبائل العرب. القاهرة، ١٩٣٥م.

واعتمدنا منه على حديثه عن هوارة بوصفها من قبائل البربر، وهجرتها إلى مصر، واستقرارها في البحيرة ثم الصعيد.

- هيلين.

الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر. ترجمة أحمد عبد الرحيم، ١٩٦٧م.

واعتمدنا منه على أخبار شيخ العرب همام ونفوذ هوارة الاقتصادي والإداري والسياسي.

- الريف المصري في القرن الثامن عشر.

مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

واعتمدنا منه على علاقة هوارة بالبيوت المملوكية، وعلى دور شيخ العرب همام في الصراع السياسي.

المحتويات

عن المؤلف

الاسم: أحمد حمد حميد بن ربيع الصبحي

- **مفتش صحة وسلامة مهنية (OHS Inspector).**
- **خبير إدارة أنظمة لينكس، وكتابة سكريبتات باش، وتطوير البرمجيات.**
- **منشئ توزيعة Belltraix Linux، توزيعة لينكس مخصصة مبنية على Kubuntu.**
- **مهتم بعلم المخطوطات، مع تركيز خاص على تحرير ودراسة النصوص الكلاسيكية.**
- **مهتم بالأنساب والدراسات التاريخية.**
- **مهتم بالتراث البحري العربي وعلم الملاحة التقليدية.**
- **له: كتاب مدينة الجار في المصادر والآثار (١٤٤٧ هـ).**